الذي ظنوه لكان سؤاله لعلي بحق النبي صلى الله عليه وسلم وابراهيم الخليل ونحوهما اولى من سؤاله بحق جعفر
ولكان علي الى تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبته واجابة السايل به اسرع منه الى اجابة السايل بغيره
لكن بين المعنيين فرق فان السايل بالنبي صلى الله عليه وسلم طالب به متسبب به فان لم يكن في ذلك السبب ما
يقتضي حصول مطلوبه ولا كان مما يقسم به لكان باطلا واقسام الانسان على غيره بشي يكون من باب تعظيم
المقسم للمقسم به وهذا هو الذي جاء به الحديث من الامر بابرار القسم وفي مثل هذا قيل ان من عباد الله من
لو اقسم على الله لابره وقد يكون من باب تعظيم المسؤول به فالاول يشبه ما ذكره الفقهاء في الحلف الذي يقصد
به الحض والمنع والثاني سؤال للمسؤول بما عنده من محبة المسؤول به وتعظيمه ورعايته حقه فان كان
ذلك مما يقتضي حصول مقصود السايل حسن السؤال كسؤال الانسان بالرحم ومن هذا سؤال الله
بالاعمال الصالحة وبدعاء انبيائه وشفاعتهم واما مجرد الانبياء والصالحين ومحبة الله لهم وتعظيمه لهم و
رعايته لحقوقهم التي انعم بها عليهم فليس فيها ما يوجب حصول مقصود السايل الا بسبب بين السايل و
بينهم اما محبتهم وطاعتهم فيثاب على ذلك واما دعاؤهم له فيستجيب الله شفاعتهم فيه فالتوسل
بالانبياء والصالحين يكون بامرين اما طاعتهم واتباعهم واما دعاؤهم وشفاعتهم فمجرد دعائه بهم من غير
طاعة منه لهم ولا شفاعة منهم له فلا ينفعه وان عظم جاه احدهم عند الله تعالى وقد بسطت هذه المسايل في غير
هذا الموضع والمقصود هنا انه اذا كان السلف والايمة قالوا في سؤاله بالمخلوق ما قد ذكر فكيف بسؤال
المخلوق الميت سواء سئل ان يسال الله او سئل قضاء الحاجة ونحو ذلك مما يفعله بعض الناس اما عند
قبر الميت واما مع غيبته وصاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم حسم المادة وسد الذريعة بلعنه من يتخذ
قبور الانبياء والصالحين مساجد وان لا يصلى عندها لله ولا يسال الا الله وحذر امته ذلك فكيف اذا
وقع نفس المحذور من الشرك واسباب الشرك فقد تقدم الكلام على الصلاة عند القبور واتخاذها مساجد
وقد تبين ان احدا من السلف لم يكن يفعل ذلك الا ما نقل عن ابن عمر رضي الله عنهما انه كان يتحرى النزول
في المواضع التي نزل فيها النبي صلى الله عليه وسلم والصلاة في المواضع التي صلى فيها حتى ان النبي صلى الله
عليه وسلم توضا وصب فضل وضوئه في اصل شجرة ففعل ابن عمر ذلك وهذا من ابن عمر تحر لمثل فعله
فانه قصد ان يفعل مثل فعله في نزوله وصلاته وصبه للماء وغير ذلك لم يقصد ابن عمر الصلاة والدعاء في
المواضع التي نزلها والكلام هنا في ثلاث مسايل احدها ان التاسي به في صورة الفعل الذي فعله
من غير ان يعلم قصده فيه او مع عدم السبب الذي فعله فهذا فيه نزاع مشهور وابن عمر مع طايفة يقولون
باحد القولين وغيرهم يخالفونهم في ذلك والغالب والمعروف عن المهاجرين والانصار انهم لم يكونوا يفعلون
كفعل ابن عمر رضي الله عنهما وليس هذا مما نحن فيه الان ومن هذا الباب انه لو تحرى رجل في سفره ان يصلي
في مكان نزل فيه صلى الله عليه وسلم وصلى فيه اذا جاء وقت الصلاة فهذا من هذا القبيل المسألة الثانية قف

ان

ان يتحرى تلك البقعة للصلاة عندها من غير ان يكون ذلك وقتا للصلاة بل اراد ينشي الصلاة و
الدعا لاجل البقعة فهذا لم ينقل عن ابن عمر ولا غيره وان ادعى بعض الناس ان ابن عمر فعله فقد ثبت
عن ابيه عمر انه نهى عن ذلك وتواتر عن المهاجرين والانصار انهم لم يكونوا يفعلون ذلك فيمتنع ان يكون
فعل ابن عمر لو فعل ذلك حجة على ابيه وعلى المهاجرين والانصار المسألة الثالثة ان لا تكون تلك
البقعة في طريقه بل يعدل عن طريقه اليها او يسافر اليها سفرا قصيرا او طويلا مثل من يذهب الى حرا
ليصلي فيه ويدعو ويسافر الى غار ثور ليصلي فيه ويدعو او يذهب الى الطور الذي كلم الله عليه موسى عليه
السلام ليصلي فيه ويدعو او يسافر الى غير هذه الامكنة من الجبال وغير الجبال التي يقال فيها مقامات
الانبيا او غيرهم او مشهد مبني على اثر نبي من الانبياء مثل ما كان مبنيا على نعله ومثل ما في جبل قاسيون
وجبل الفتح وجبل طور سيناء الذي ببيت المقدس ونحو هذه البقاع فهذا مما يعلم كل من كان عالما
بحال رسول الله صلى الله عليه وسلم وحال اصحابه من بعده انهم لم يكونوا يقصدون شيئا من هذه الامكنة
فان جبل حرا الذي هو اطول جبل بمكة كانت قريش تنتابه قبل الاسلام وتتعبد هناك ولهذا
قال ابو طالب في شعره وراق ليرقى في حراء ونازل وقد ثبت في الصحيح عن عايشة رضي الله عنها انها قالت
كان اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل
فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان ياتي غار حرا فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد
ثم يرجع فيتزود لذلك حتى فجأه الوحي وهو بغار حراء فاتاه الملك فقال له اقرا فقال لست بقارئ
قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني ثم قال اقرا فقلت لست بقارئ مرتين او ثلاثا
ثم قال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم
الانسان ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره الحديث بطوله فتحنثه وتعبده لعله بها فؤاده
بغار حرا كان قبل المبعث ثم انه لما اكرمه الله تعالى بنبوته ورسالته وفرض على الخلايق الايمان
به وطاعته واتباعه اقام بمكة بضع عشرة سنة هو ومن امن به من المهاجرين الاولين الذين هم افضل
الخلق ولم يذهب هو ولا احد من اصحابه الى حرا ثم هاجر الى المدينة واعتمر اربع عمر عمرة الحديبية التي صد
فيها عن البيت والحديبية عن يمينك وانت قاصد مكة اذا مررت بالتنعيم عند المساجد التي يقال انها مساجد
عايشة والجبل الذي على يمينك يقال له التنعيم والحديبية غربيه ثم انه اعتمر من العام القابل
عمرة القضية ودخل مكة هو وكثير من اصحابه واقاموا بها ثلاثا ثم لما فتح مكة وذهب الى ناحية حنين
والطايف شرقي مكة فقاتل هوازن بوادي حنين ثم حاصر اهل الطايف وقسم غنايم حنين بالجعرانة
فاتى بعمرة من الجعرانة الى مكة ثم انه اعتمر عمرته الرابعة مع حجة الوداع وحج معه جماهير المسلمين لم يتخلف عن
الحج معه الا من شاء الله وهو في ذلك كله لا هو ولا احد من اصحابه ياتي غار حرا ولا يزوره ولا شيا من البقاع

Copyright © King Saud University